خـــذوا ربيـــعكم (العربي).. وارحلـــوا

قدمت المملكة موقفاً ازاء مصر لم تجرؤ أي دولة عربية أن تتخذه حتى في مشاكلها الخاصة. أن هذا الموقف أتى في ظل أوضاع عربية مؤلمة تحت ما يسمى (الربيع العربي).

إن هذا "الربيع العربي" فتت شعوباً وفتت حكومات، علاوة على القتل والإعدامات، وقد أبدى الملك عبدالله موقفا أخلاقياً ووطنياً وإسلامياً مع شعب مقرب للسعودية.

تركي السديري
رئيس تحرير صحيفة (الرياض) السعودية

يلومني الكثيرون على تجاهلي لما يسمونها "ثورات الربيع العربي" وإصراري على اشاحة نظري عنها بازدراء.. ويسوق لي البعض مقالات ومقابلات وصورا من اليوتيوب.. لكنني لم استطع ابتلاع هذه الثورات ولا هضمها ولا استساغتها.. وموقفي ليس عنادا ولا تشبثا بنظام ولا بعهد بل هو انحياز نحو عقلي وقلبي أولا ، وانحياز نحو كل ماتعلمته وقرأته.. وانا قرأت كل ماقرات في حياتي كي اتمكن من استعمال عقلي في حدث منفصلي كهذا.. وكي لا اسلّم بالأشياء فقط لأن الجمهور يريد ذلك ،ولأن بوصلة الشارع لاتخطئ حسب مايزعمون.. انني لاحب السير مع القطيع الذي تقوده الذئاب .بل وتسير بينه الذئاب.. ولا أحب الثورات التي لاتعرف نكهة الفلسفة ولا نعمة الفكر..فهذا برأيي ذروة الكفر .

لا تلام الديكتاتوريات اذا لم تكن لها فلسفة ولا فلاسفة يعتد بهم وبفكرهم.. فالثيران لاضروع لها لتنتج الحليب .ولا اتوقع أن تنتج الديكتاتوريات فلسفة ذات أثر.. لكن لايغفر للثورات فقرها بالفلسفة وغياب الفلاسفة والمفكرين عنها وهم الذين يضيئون ويتوهجون بالأفكار.. والثورات العظيمة يوقدها عظماء وتضيئها عقول كالشهب وتتكئ على قامات كبيرة ترسم بالنور زمنا قادما بالقرون.. وغياب هؤلاء يسبب تحول أي ثورة الى حركة (تمرد) و (انقاذ) لايقاف الدمار الذاتي.

الثورات الشعبية عادة هي انعكاسات لصراعات اجتماعية عميقة..وسلوك الثورات انعكاس لفلسفة يعيشها تغذيها.. فلكل ثورة صراعها وفلسفتها وقاماتها.. وبالتالي لها أبطالها على الأرض وفلاسفتها.. وغياب الفكر والفلسفة يجعل الثورة تمردا ليس الا، ولا تحمل الا صفات الانفعال الشعبي والغوغائي.. فالثورة الفرنسية كانت رغم عنفها وجنونها ثرية بالفلاسفة والمفكرين الذين صنعوا من فعل الثورة حدثا مفصليا في التاريخ عندما تحولت هذه الثورة الى وسيلة صراع اجتماعي مسلحة بالفكر الثوري والمنطق الذي لايزال يجري في عروق قيم الحضارة الانسانية.. كان الدم يسيل في طرقات باريس ومن مقاصلها ومن جدران الباستيل لكن كذلك كانت المصطلحات الثورية والمفاهيم الكبرى الفرنسية الصنع والصياغة عن المساواة والحرية تطل من الشرفات وتضيء مع شموع المقاهي.. وتفوح كالعطر من مكتبات الثورة ومؤلفاتها.. فكدنا نرى مفكرين وفلاسفة وكتابا أكثر من أعداد الغوغاء التي اجتاحت باريس ..فلاسفة الثورة الفرنسية ومفكروها كانوا أكثر عددا من الثوار الذين زحموا الطرقات...

وكذلك كانت ثورة البلاشفة في روسيا فبرغم أن من قام بها كانوا على درجة كبيرة من الأمية (الذين أطلق عليهم البروليتاريا) فانها اعتمدت على فلسفة عملاقة هي الماركسية والماركسية اللينينية وكل متخماتها ومصادرها من جدلية هيغل ومادية فيورباخ وطوباوية توماس مور وسان سيمون وروايات توليستوي ومكسيم غوركي.. ويروي المؤرخون حادثة تدل على أن شباب الطبقة البروليتارية الروسية الذين قاموا بالثورة البلشفية لم يكونوا يعرفون ماتقوله فلسفة الثورة، بل كانوا منجذبين الى حد الانبهار بفلاسفتها وفلسفتهم دون ان يفقهو منها شيئا، لكن مفكري الثورة كانوا يعرفون عن البروليتاريا كل شيء.. فقد كان لينين الساحر المفوه يخطب في حشد من الناس ويبشرهم بأن البروليتاريا ستقوم ببناء القاعدة المادية الفولاذية للثورة الاشتراكية ..وهنا اندفع احد المتحمسين الشباب من المحتشدين وصاح بتأثر وحماس: ايها الرفيق لينين ..انني حداد وأنا سأضع كل امكانياتي وخبرتي في صناعة الحديد لبناء هذه القاعدة الفولاذية.. بالطبع ماقصده لينين كان غير المصطبة الحديدية، التي قصدها الحداد .

واليوم يحاول الكثيرون تسويق الربيع العربي على أنه ثورة من ثورات العالم الكبرى التي تتعلم منها الأمم والشعوب برغم ان هذا الربيع لايعدو في أعلى مراتب التوصيف أن يكون تمردا اجتماعيا متشظيا قائما على الانفعال العاطفي الوجداني لجمهور تائه عبر الفيسبوك وتويتر واليوتوب لايختلف عن الحداد الذي أراد أن يبني لقائد ومفكر الثورة البلشفية لينين "مصطبة" القاعدة المادية الفولاذية للثورة الاشتراكية..فقد غاب عنا في هذه الثورة العربية "المتلمسة الأطراف" من شمال افريقيا الى اليمن السعيد والى سوريا شيئان مهمان هما فلاسفة الثورة الكبار ومفكروها وفلسفتها..وكذلك غابت كليا فلسفة الثورة.. واللهيب الذي نراه اليوم لم يوقده فلاسفة ولاعمالقة ولاقامات ولاهامات ولافكر.. هذه ثورات أوقدها النفط والجهل وحديث التعصب وفتاوى التدين السياسي.. وليس القهر والحرمان والديكتاتوريات..أما فلاسفتها الحقيقيون فلا يتكلمون العربية !!.

البحث عن ماهية فلسفة (ثورات الربيع العربي) عمل شاق للغاية ..والأكثر شقاء هو البحث عن فلاسفة الثورة والخزانات الفكرية الضخمة التي تستمد منها الثورات الكبرى طاقتها الخلاقة..وقد حاولت ولشهور طويلة متابعة شخصيات هذه الثورة وكتاباتها وكتابها ولاحقت عيناي كل المقابلات الصحفية والبرامج التحليلية لكنني ما التقيت سوى الخواء، وماوجدت نفسي الا في صحراء قاحلة بلا واحات وبلا نخيل عالي القامات.. وبلا قوافل المؤلفات الكبيرة.. ولم أجد قامات مفكرين ناهضين في الثورة كأنصال السيوف ..عجبا هل أقفرت الثورات العربية العابرة للقارات من تونس الى سوريا مرورا بمصر واليمن من أية مرجعية فكرية تستند عليها الجماهير ..وتضبط سديمية هذه الجماهير وغوغائيتها ..؟؟

من جديد يعاتبني الكثيرون على انكاري لوجود ثورات (الربيع العربي) ويبعثون اليّ بالمناشير ومشاهد اليوتيوب والمقالات ومقاطع المقابلات.. ولكن عذرا أيها السادة، فلا أزال مصرا على انه لاتوجد ثورات عربية ولاربيع عربي قبل انتفاضة الشعب المصري في 30 يونيو ضد نظام حكم المرشد وانتفاضة الشعب التونسي ضد حكم النهضة بل انفعال اجتماعي وقوده مال ونفط وفلاسفته اميركيون وأوروبيون وصهاينة مسيحيون.. هذه حقيقة مؤلمة..

› غســـان بـــن جـــدو

_ ان كل مارأيناه هو حركة فوضوية لجمهور بلا قيادة وبلا قائد وبلا عقل مدبر .. وهنا كمنت الكارثة الوطنية.. فالربيع العربي "العظيم" لم ينتج أكثر من منصف المرزوقي في تونس التي ذهب فيلسوفها الصغير الغنوشي سباحة الى نيويورك ليقايض كتبه في مؤسسة (ايباك) الصهيونية الاميركية بثمن بخس هو "السلطة".. وهذه ليست من صفات فلاسفة الثورات الذين تأتي اليهم الدنيا لتسالهم عن فعل الثورة ولايذهبون الى تسول الاعتراف بثوراتهم !! ..

ولم ينتج الربيع العربي في ليبيا سوى "مصطفى العبد الذليل" الليبي والانفلات الأمني الرهيب وغير المسبوق حاليا .. فيما لم يكن هناك مفكرون اسلاميون من وزن المفكر الصادق النيهوم الذي كان قادرا على قيادة ثورة فكرية تقود الجمهور الغاضب.. وفي كل ثورة مصر لم نسمع بمرجعية ثورية واحدة ..سوى شاب عشريني يسمى وائل غنيم ،ومحام سلفي قطع اجتماعا في (برلمان الثورة) ليؤذن في الناس أذان العصر ومحامين متطرفين تفرغوا للاحقة مشاهير الكتاب والفنانين وعلى رأسهم العملاق عادل إمام، ولم يسلم منهم العملاق نجيب محفوظ في قبره!!.

والفجيعة كانت ان كل هذه الثورات تجتمع برمجية قطرية خليجية مدججة بالزعران والمجانين وصغار الكتاب الذين كانوا أكثر أمية من الدهماء في شوارع الثورات ،واكثر عددا من المتظاهرين في أحياء الثورة السورية ..وكانت هذه الثورات مجهزة بقاذفات الفتاوى الدموية الرديئة المخجلة والخالية من الانسانية والمليئة بالاسرائيليات والأساطير ..

في كل يوم يحاول "فقهاء" (الربيع العربي) حل هذه المعضلة والاشكال عبر ضخ أسماء عديدة ومنحها اقنابا مخضمة من باحث الى أستاذ العلاقات الى بروفيسور الى رئيس مركز الى محلل استراتيجي .. الى ....والحقيقة هي أن صناع الثورة والمدافعين عنها يحاولون تجاوز هذه المعضلة الحقيقية خاصة بعد انهيار أسطورة المفكر العربي عزمي بشارة واحتراقه حتى التفحم .

•••

عزمي بشارة هو الوحيد الذي لعب دور فيلسوف الثورة والربيع العربي باتقان.. كان مفوها وكان في منتهى الدهاء فهو يوصف الثورات وأمراضها بمكر .وكان من الخبث لدرجة انه لامس الوجع الاجتماعي العربي وجعل الناس تنسى أنه كان عضو كنيست اسرائيلي ومدير الأبحاث في معهد فان لير الاسرائيلي في القدس.... والأكثر من ذلك أنه أمسى الناس انه المفكر الذي يعيش في كنف اللافكر وتحت ابط الانحطاط الأخلاقي والثقافي وتحت رعاية أكثر الأنظمة العائلية الوراثية جهلا وقمعا .. وبعد تلك المقابلة المهينة مع أخيه علي الظفيري وتوسلاته بتجنب الأردن في منظر صدم كل من شاهده ، راى الناس احتراق الفيلسوف الوحيد لثورات (الربيع العربي) كبئر نفط وقعت عليه كتلة من اللهب.. ولم تتمكن قناة الجزيرة وكل المعارضات العربية من انقاذ حريق الفيلسوف رغم كل سيارات الاطفاء..الفلسفة قد تسقط لكن لاتحترق.. والفلاسفة قد تحترق أجسادهم لكن لا تحترق أقوالهم وقاماتهم.. واحتراق الفيلسوف يدل على تفاهة قيمه وأنه مجرد ثرثار يردد مقولات الفلاسفة.. وعزمي كان يحترق بشدة وتنطلق منه غمامة كثيفة سوداء كاحتراق الفوسفور المتوهج على أجساد أطفال غزة.. وسط دهشة الجميع وانغفار الأفواه المذهولة.

قللت قناة (الجزيرة) من حضور الفيلسوف المحترق لكنها عجزت منذ تلك الحادثة عن تصنيع فيلسوف آخر وكانت كل محاولاتها لنفخ الأبطال والمفكرين تصطدم بعقبة غريبة.. وهي .. أنه يمكن لما تسمى (ثورات الربيع العربي) أن تنتج مقاتلين ومتظاهرين وراقصين في الطرقات ومصورين وممثلين على اليوتيوب، لكن يستحيل انتاج فلسفة أو خلق فيلسوف.. لسبب بسيط أنها ليست ثورات طبيعية وليست ثورات قائمة على تطور منطقي يصنعه جهابذة فكر وعصارات عقول المجتمعات.. فالثورة عادة تأتي بعد نهوض الفلاسفة واضاءاتهم ورزعهم البذور واختمار أعنابهم.. أما أن ينهض الفلاسفة بعد الثورات فمحال..ومستحيل..والأكثر استحالة أن تنتج ثورة فلسفة ..لأن الفلسفة هي التي تنتج ثورة.. ولذلك انتبه الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل الى هذه الحقيقة وحاول انقاذ ثورة عبدالناصر بحقنها بالفلسفة.. فكانت محاولات اطلاق فلسفة الثورة التي نجحت نسبيا لسبب واضح وهو أن ثورة عبدالناصر تميزت أنها لم تكن دموية ولم تكن ثأرية ..لكنها كانت تعكس اضاءات فلسفات أخرى مجاورة في الهند (اللا عنف للمهاتما غاندي) وفي روسيا (الاشتراكية)..وكانت تالية لانكسارات وحطام الامبراطوريات الكبرى بعد الحرب العالمية.

المعارضة السورية حاولت نحت شخصيات رمزية وقدمت برهان غليون بطريقة دعائية صارت عينا عليه وعينا علينا فهو رئيس مركز دراسات الشرق المعاصر وهو مؤلف وهو بروفيسور سوربوني وهو كل شيء.. لكن أداءه الردىء وتناقضاته الفجة مع ماكتب في السابق طوال عقود ضد الاسلاميين لم يجعله مفكر الثورة ولافيلسوفها ..فمن غير الممكن أن يكون غليون فيلسوف الثورات الدينية وهو من خرق المفاهيم الاسلامية وسفه تياراتها عملا وقولا وكتابة.. علاوة على ذلك فان الفيلسوف هو من يرفض الانضواء في قيادة الثورة بل يغذيها ويضيئها .. لكن غليون بدا صغيرا وضئيلا وهو يستمتع بلقب الرئاسة لمجلس لاقيمة له ..وبدا ان أقصى طموحات الفيلسوف هو السير على سجاد أحمر وامضاء الأيام في الفنادق الفخمة والحديث الى كل الفضائيات وقطف النجومية الاعلامية ولقاء مذيعات العرب وليلى وخديجة وبسمة و و..

ولذلك لوحظ أنه بعد توليه رئاسة المجلس الوطني السوري طارت شعبيته العلمية الخارقة فجأة وذابت توصيفات عبقريانه وانجازاته الفكرية وتحول من مفكر وفيلسوف للشعب السوري وثورته الى رئيس مجلس معارض ينتظر راتبه الذي يأتيه من أمير قطر، وتجديد عقد عمله شهرا بشهر.. وكان سقوط كل صفاته العملاقة التي اسبغت عليه هو نتيجة منطقية لأن كل ما منح له من صفات كان مثل باروكة وألبسة واقنعة مسرحية طارت مع عاصفة مواجهة الميدان الفكري للفلسفة الثورية ..فانكشفت صلعته بعد ان اقتلعت الريح الباروكة التي وضعتها له قناة (الجزيرة) ..ولن يجديه بعد اليوم الهرولة خلفها ..فلن يظفر بها في هذه الرياح العاتية التي لاترحم ..وربما كانت غلطة عمره لأنه انخرط شخصيا في العمل السياسي بدل بقائه بعيدا كرمز فكري وملهم للثورة..وكان من الممكن أن يكون في مرحلة ما ضمير الثورة وأن يوصل الجميع اليه كأب فكري للثورة.. لكنه ولغياب عبقرية الفيلسوف وسلطحيته الفكرية قبل أن يستعمل كالغطاء لوجه الثورة الديني.. وقبل بالعمل لدى أعرابي جاهل مثل حمد بن جاسم ..وبالعمل لدى هيلاري كلينتون بوظيفة مصطفى العبد الذليل ..باسم برهان الفيلسوف الذليل...

ومن سوء طالع الثورة السورية انه لاتوجد اسماء أخرى يمكن تصنيعها لملء الفراغ.. والسبب هو غياب أي فكر خلف هذه الثورة.. ولكن السبب الأهم كما أعتقد هو أن الفلسفة الحقيقية للثورة والفلاسفة الحقيقيين للثورة ليسوا في صفوف الثوار بل في أعضاء مجلس الأمن الغربيين.. وينبش المزيد من الأتربة التي تغطي وجه هذه الثورة سنصل الى مفكر الثورة وفيلسوفها الرئيسي وهو الفيلسوف برنار هنري ليفي ..وفلسفة ثورته هي في الحقيقة اللجوء الى التدمير الذاتي للقوى الاجتماعية العربية عن طريق اطلاق التمرد الشعبي وحرمانه من الفكر الذي يوجه سديميته.. فيتحول الى فوضى يتحكم بها فلاسفة الثورة الحقيقيون في الغرب وعلى رأسهم ليفي نفسه..

بالطبع مايثير السخرية الشديدة هي الثورات المدججة بالهزال الفكري والقحط والتي تشبه مواليد المجاعات الافريقية ..ويكفي الاستماع للفيلسوفة رندة قسيس مثلا وتعديبها للغة العربية وحروف الجر وارغام الفعل المضارع على أن يكون مجرورا من رقبته بالكسرة ومضموما الى فعل أمر !!.. بل اصرارها على اطلاق زخات العلم والمعرفة بالحرية حتى كدنا نظن أنها ابنة توماس مور.. ويكفي الاستماع للفيلسوفة فرح أتاسي ومرح أتاسي وكل رهط الأتاسي حتى نعرف الى أين وصلت بنا المآسي عبر فلسفة الأتاسي.. أما الاصغاء أو قراءة فيلسوف الثورة السورية الذي يرتدي قبعة "ايمانويل كانت" أي - محمد عبدالله - فيوحي أن الفلسفة تمر بأزمة نفسية خطيرة خاصة عندما نقرأ تحليله لأسباب الفيتو الروسي الأخير.. فقد كدت أقوم من جلستي لأصفق له لأنه الوحيد الذي هزم دونالد رامسفيلد ..لأنني لم أفهم كلمة واحدة مما قال وذكرني ماقاله هذا الفيلسوف بما قاله دونالد رامسفيلد عن المجهول والمعلوم عندما قال: "هناك أشياء نعرف أننا نعرفها، وأشياء نعرف أننا لا نعرفها، وأشياء لا نعرف أننا نعرف أننا نعرفها، وأشياء نعرفها ولكن لا نعرف أننا نعرفها"..

ولا أبالغ ان قلت ان ماقاله رامسفيلد أكثر ثراء من مقالة محمد عبدالله عن الفيتو الروسي.. وأنصحكم بقوة أن تتجنبوا قراءة ماكتبه فيلسوف الثورة السورية (نسخة ايمانويل كانت) محمد العبدالله لأنه مقال شديد الثقوب والعيوب والرتوق والفتوق والرقع الفلسفية كما تعودنا منه.. وقد تنفتقون ضحكا.. ولا رتق لمن ينفتق فتقا فلسفيا ..ثوريا..

في غياب مفكري الثورة الكبار وفلاسفتهم العقلاء وفلسفتهم تجد أن الجماهير العربية تعيش أقصى حالات التعتيم والظلام والتوهان.. لدرجة أن متفقين كثيرين ومتعلمين وليبراليين ومهاجرين في مؤسسات علمية من أطباء ومهندسين يساندون الثورات دون أن يواجهوا أسئلة فلسفية مخيفة .

كيف لثورات يقودها النظام القطري العائلي الوراثي أن تساعد الشعوب العربية على تحقيق الحرية والديمقراطية و مكافحة التوريث واسقاط الإنظمة العائلية؟ وكيف يمكن لمن اقتحم الفلوجة العراقية بالسلاح الكيماوي وارتكب الفظائع وأكل لحوم البشر فيها، وروى مياهها الجوفية بالمواد المسرطنة.. كيف له أن يبكي على مدينة حمص السورية المحشوة بالمقاتلين المغرر بهم والقتلة والمرتزقة الاجانب حيث اصبح قادة دول الحلف الاطلسي يضغطون على روسيا والصين للموافقة على قرار في مجلس الامن الدولي يسمح بفتح ((ممرات انسانية امنة)) لانقاذ ارهابيي تنظيم القاعدة و المرتزقة الاجانب العالقين في أوكارهم المحاصرة بريف حمص ورويف أدلب وإعادتهم الى حيث أتوا ؟ .

وكيف يمكن لسلاح بلاك ووتر الذي أحرق الفلوجة العراقية السنية عام 2004م أن يتسلل الى حي بابا عمرو في حمص عام 2011م ويغرقه بالمجازر والمحارق ، قبل أن تتمكن القوات السورية من تحرير هذا الحي وتخليصه من ارهابيي القاعدة ومرتزقة حلف الناتو ومشيخات النفط بملحمة بطولية تتوجت بالاستيلاء على هذا السلاح الاسود ، والقبض على عدد كبير من الارهابيين العرب والمرتزقة الاجانب الذين كانوا يقاتلون الجيش السوري تحت مسمى (الربيع العربي) ؟ ،، وكيف نصدق أمريكا التي تبكي اليوم على حمص وهي بالأمس حولت الفلوجة "السنية" الى هيروشيما الشرق..؟؟ كيف نصدق هذا الغرب الأطلسي الاستعماري في بكائه على حمص وهو منذ اشهر قليلة امسك غزة من عنقها لتذبح على أيدي الجيش الاسرائيلي..وثبت أيدي وأرجل لبنان على الأرض كي تتمكن اسرائيل من ذبحه ؟!!

في غياب مفكري الثورة تجد أن ليبراليين عربا وسوريين ملؤوا صفحات الانترنت بالشعارات الثورية وأعلام الثورات وصور اليوتيوب دون تبين..اليوتيوب الآن - بكل مافيه من فقر توثيقي وفبركات ـ هو من يقود النخب المثقفة ، لأن الصورة ـ وغالبا ما تكون مفبركة ومأخوذة من ارشيف قديم ومختلف ـ لا الفكر ولا المفكرين هي من يحرك العقول عندما تغيب الفلسفة والمنطق والمنهج العقلي.. ولم تسأل هذه النخب ان كانت الثورة تضرب ـ بفعلها الثوري ـ الانابيب والمنشآت النفطية للبلاد ، وتحطم خطوط نقل الكهرباء، وتحرق المعامل وتصيب آلاف المصانع والشركات العامة والخاصة بالافلاس ، وتزيد من اعداد الشباب العاطلين عن العمل بعد تسريحهم من العمل في الشركات والمصانع التي أغلقها مالكوها بسبب الافلاس، وتنتقم من النظام بقتل جنوده وموظفيه وعماله وافقار الشعب الذي تتحدث ثوراتُ (الربيع العربي) باسمه ؟!!

وفي غياب الغطاء المنطقي الفكري للثورة لايسأل هؤلاء أسئلة سهلة مثل : اذا لم تؤيد منطق الارهابي الاخواني السوري الشهير بالشيخ العرعور .. فلماذا لاتدينه علنا وتطلب ابعاده من عضوية المجلس الوطني؟ وكيف لرجل مزواج مطلاق .. كل صوره السعيدة مع الملوك و الزعماء العرب وهم يستقبلونه بحفاوة ويبارك حكمهم (وهو القرضاوي) أن يكون ملهم الثوار ولينينهم؟

بل وفي غياب العامل المنطقي لانستغرب أن وصل الأمر ببعض المهرجين الناطقين باسم الثورة أن يرفعوا علم نظام الانتداب الفرنسي الاستعماري في سوريا بدلا من علم الاستقلال والوحدة، وأن يستبدلوا السيد حسن نصر الله باسرائيل. ويصل الامر أن علم اسرائيل يرفع في حمص ويتسلل متحدث ثوري عبر قناة الحرة لطلب تدخل اسرائيل من اجل حماية الشعب السوري في حمص.. فقرر المنطق هنا أبقاه جلدا على عظم.. فالتخلص من نظام الحكم في سوريا وغيرها من البلدان التي ابتليت بثورات (الربيع العربي) أصبح كافيا لتبرير بيع وطن ، واستجداء التدخل الاجنبي عند هؤلاء الثوار.

الديكتاتوريات التي ترحل لا يؤسف عليها لكن مايؤسف عليه هو أن هذه الثورات تشبه فارسا مقطوع الرأس.. انه فارس مخيف بلا ملامح ..وبلا حياة.. جثة تتنقل من بلد الى بلد على متن راحلة قطرية ، فيما هي تتعفن وتنشر الوباء والطاعون النفسي والأخلاقي.. والذباب والدود والموت والاستعمار الجديد.. ولذلك لن نقول "هفواتها برهانكم ان كنتم صادقين".. بل خذوا "برهانكم" وثوراتكم وربيعكم (العربي) ان كنتم صادقين مع أنفسكم.. وارحلوا.

كل مارأيناه هو حركة فوضوية لجمهور بلا قيادة وبلا قائد وبلا عقل مدبر..وهنا كمنت الكارثة الوطنية.. فالربيع العربي "العظيم" لم ينتج أكثر من منصف المرزوقي في تونس التي ذهب فيلسوفها الصغير الغنوشي سباحة إلى نيويورك ليقايض كتبه في مؤسسة (ايباك) الصهيونية الأميركية بثمن بخس هو "السلطة".. وهذه ليست من صفات فلاسفة الثورات الذين تأتي إليهم الدنيا لتسألهم عن فعل الثورة ولا يذهبون إلى تسول الاعتراف بثوراتهم!!..

لا تُلام الديكتاتوريات إذا لم تكن لها فلسفة ولا فلاسفة يعتد بهم وبفكرهم.. فالثيران لاضروع لها لتنتج الحليب ..ولا أتوقع أن تنتج الديكتاتوريات فلسفة ذات أثر.. لكن لايغفر لُلثورات فقرها بالفلسفة وغياب الفلاسفة والمفكرين عنها وهم الذين يضيئون ويتوهجون بالأفكار.. والثورات العظيمة يوقدها عظماء وتضيئها عقول كالشهب وتتكئ على قامات كبيرة ترسم بالنور زمنا قادما بالقرون.. وغياب هؤلاء يسبب تَحولُ أي ثورة الى حركة (تمـرد) و (انقاذ) لايقاف الدمار الذاتي.

إنهم يخربون بيوتهم بأيديهم

قد تكون الأحداث الدامية في مصر منذ الأربعاء قبل الماضي فاجأت كثيرين ممن تنقصهم المعرفة بتاريخ حركة (الاخوان) وعقيدتهم الدينية والسياسية، وهم قبل ذلك لم يستوعبوا طبيعة رد الفعل على إزاحة الرئيس السابق محمد مرسي بفعل غضب شعبي عارم وثورة وطنية غلابة؛ لكن هذا كان متوقعاً عند من لديهم بعض العلم أو كثير منه.

تصنّف حركة (الاخوان) على أنها تنظيم سياسي ديني أو جماعة إسلامية بالتعبير الشائع؛ لكن الاخوان يعتبرون أنفسهم الجماعة المسلمة وما عداهم مجتمع جاهلي، وهم عندما يحوّلون المساجد إلى ثكنات عسكرية، وعندما يحرقونها ويعبثون بمحتوياتها فإنما ينطلقون من النظر إليها كمعابد وثنية مادام أكثر المتردّدين عليها للعبادة لا ينتمون إليهم، وبحسب علي عشماوي، القيادي الأسبق في الجهاز الخاص بالتنظيم أنه وزملاءه ممن كانوا يتردّدون على سيد قطب في منزله بحلوان جنوب القاهرة فوجئوا به لا يخرج إلى المسجد لصلاة الجمعة قبل أن يعرفوا منه أن الصلاة فيه غير جائزة مادامت الدولة الإسلامية لم تقم بعد، كان ذلك أثناء الإعداد للانقلاب الذي رتّبه قطب سنة 1965م، وكان سيد قطب قد أصدر كتابه «معالم في الطريق»، وطبقاً له لا يُعد مسلماً إلا من ينضم إلى «الجماعة» حيث التصديق الكامل بالحاكمية لله، وأما من هم دون ذلك فهم في عداد الجاهليين، والمجتمع الجاهلي عنده يضم الشيوعيين والليبراليين والقوميين ومن يعتبرون أنفسهم مسلمين ولكنهم يقبلون بالنظم والتشريعات البشرية.

› حسن العديني

ووفقاً لقطب فإن الرسول اكتفى بالدعوة إلى التوحيد أثناء وجوده في مكة، ثم نزل عليه التشريع بعد أن أقام دولة المدينة، ولذلك فليس على الجماعة المسلمة أن تضع التشريعات التفصيلية قبل أن تقوّض الدولة الجاهلية الكافرة وتقيم دولة الإسلام، ومثلما كان الرسول محور التشريع؛ فإن المهمة في المجتمع الإسلامي الجديد تتولاها قيادة الجماعة بعد أن تنشأ دولتها، وهنا الحلقة المفرغة التي عجز قطب عن إغلاقها؛ لأن التشريع الذي يؤكد مبدأ الحاكمية لله عاد مرةً أخرى إلى مجموعة من البشر يستحيل وضعها في مركز مماثل للرسول الذي يتلقى الوحي، لهذا ظلت حركة (الإخوان) ترفض صياغة برنامج سياسي وتكتفي بالشعار الغامض «الإسلام هو الحل»، ذلك أن البرنامج، والتشريعات التفصيلية، سيكونان موضع تساؤل ونقد ، والمطلوب هو جر الناس وعيونهم مغمضة..؟!.

إن الانطلاق من هذا المعتقد المريض الذي أضفى عليه الطابع الديني أفضى إلى معتقد سياسي يجيز محاربة الكفار ولو زعموا أنهم مسلمون، والواقع أن فكر سيد قطب ليس منقطعاً عن عقيدة المؤسس حسن البنا التي عبّر عنها في خطبه ورسائله بلغة لا يكتنفها غموض، وإن كان قطب قد شرح وفصّل بما لا يستوجب التفكير والتمعن، من هنا ارتبط العنف بمسيرة الجماعة ومنذ قويت شوكتها في أربعينيات القرن الماضي حتى هذه اللحظة.

ولئن كانت الضربة القاسية التي تلقّتها منتصف الستينيات قد جعلتها تتبع تكتيكاً جديداً منذ تحالف معها الرئيس أنور السادات وأخرج عناصرها من السجون لمواجهة اليسار الناصري والماركسي قد تستشيط غضبا عندما تلقى الحجارة على كنيسة، كيف يمكن فهم صمت «اليونيسكو» عن إحراق متحف ومبان أثرية والاعتداء على مكتبة عظيمة شاركت «اليونسكو» نفسها في إعادة بنائها، تلك المكتبة التي كان الرومان قد أحرقوها في الاسكندرية منذ ألف وخمسمائة سنة..؟!.

لقد كان الفريق السيسي واضحاً في تلميحه من خلال كلمته أمس الأول: "إننا نتابع ردود فعل الولايات المتحدة وطالبان" فأمريكا التي تشن الحرب على طالبان هي نفسها التي ترعاها في مصر، والذين تابعوا التصريحات الأمريكية وبيان طالبان حول ما يجري هناك قد يتصورون أنها منسوبة إلى جهة واحدة وربما كتبها شخص واحد..؟!..

لكن المهم في أحداث مصر هو أنها أكدت أمرين: الأمر الأول أن الاخوان بعد أن سقطوا سياسيا وأخلاقيا ماضون في تدمير أنفسهم إلى النهاية، وأنهم يكتبون وثيقة طلاقهم من الشعب بصورة لا مرد لها ولا رجعة.

والأمر الثاني هو أنهم في سعيهم لإشعال حرب طائفية دفعوا المصريين إلى وضع لبنة جديدة متينة في صرح الوحدة الوطنية، فلم يرفع مسيحي واحد بندقيته كي يطلق رصاصة، ولم يشهر أي منهم سكينة ردّاً على عشرات الكنائس والمنازل والمتاجر، وقبل ذلك فإن المسلمين نزلوا بحمون كنائس الأقباط وممتلكاتهم، وهبّ أئمة الجوامع يدعون إلى حماية إخوتهم في الوطن.

وقد قال المفكر العبقري جمال حمدان في كتابه الأثير «شخصية مصر»: «إن الوطن وُجد لدين، وقال أيضاً: «إن الدين عنصر والقومية مركب، كذلك قال ابن تيمية، الفقيه الذي يدعي (الإخوان) أنه مرجعيتهم: "أن حماية الوطن أولى من تثبيت الشريعة" لكن الإخوان) يضمرون ما لا يعلنون، إنهم يصنعون الدمار ويخربون بيوتهم بأيديهم.

إلى السلطة بأصوات الناخبين وبنفس رئيسهم السابق أورتيجا.

على أن هناك مثالاً آخر من أمريكا اللاتينية قد يضيف شيئاً كاشفاً للعلاقة بين الولايات المتحدة و(الإخوان)، ففي البيرو انتخب "البيرتو فيجو ميريري" رئيساً سنة 1990م، وفي ابريل 1992 أقدم على ما فعله مرسي في نوفمبر 2012 فأصدر إعلاناً دستورياً حصّن فيه قراراته، وسرعان ما أعلن البيت الأبيض وتلاه الاتحاد الأوروبي أن هناك انقلاباً رئاسياً في البيرو، وكذلك فعلت دول أمريكا اللاتينية التي حاصرت النظام في "ليما" وأسقطت الانقلاب بالحاكمية لله، وأما من هم دون ذلك فهم في عداد الجاهليين، والمجتمع الجاهلي عنده يضم الشيوعيين والليبراليين والقوميين ومن يعتبرون أنفسهم مسلمين ولكنهم يقبلون بالنظم والتشريعات البشرية.

الضربة القاسية التي تلقّتها جماعة (الإخوان) منتصف الستينيات جعلتها تتبع تكتيكاً جديداً منذ تحالف معها الرئيس أنور السادات وأخرج عناصرها من السجون لمواجهة اليسار الناصري والماركسي ، حيث أوكلت مهمة العنف إلى تنظيمات خرجت من رحمها مثل «التكفير والهجرة» و«الجهاد» و«الجماعة الإسلامية» .

كانت الحركة تعني ما تقول عندما هددت بإحراق مصر إذا فشل مرشحها في الانتخابات، بمعنى أننا أمام فصيل سياسي مستعد لتدمير بلده ثمناً للسلطة، وذلك لم يحدث في تاريخ الدول والحركات السياسية